دوافع أطماع قرامطة البحرين في السيطرة على البصرة

في القرن الرابع الهجري

الدكتور عبد الجبار ناجي

نبذة عن طابع البصرة السياسى

اتخذت الجيوش العربية ، المشاركة فى الفتوحات الكبرى للعراق وبلاد فارس ، الكوفة والبصرة مصرين على طرف الصحراء وذلك فى فترتين زمنيتين متقاربتين من القرن السابع الميلادى ، كى تكونا مخيمات عسكرية لهم وعوائلهم ، ومستودعات بشرية من اجل امداد الجيوش المتوغلة فى بلاد فارس من الشمال والجنوب . وبالاضافة الى تلك المهمات فان هذين المخيمين كانا على اتصال مباشر بالمدينة -عاصمة الدولة العربيه - حيث تسهل عملية الامدادات العسكرية. وفوق هذا وذاك فأنهما كانتا الى حد ما على مقربة من مشارب المياه المتمثلة بنهر دجلة العوراء - شط العرب فيما بعد الى الشرق من البصرة ، ونهر الفرات الى الشرق من الكوفة.

والباحث فى التاريخ السياسى لكل من هاتين المدينتين العسكريتين يجد فرقا ملحوظا فى الدور الذى لعبته كل منهما سواء كان ذلك

الدور متعلقا بالاحداث السياسية التى شهدها التاريخ الاسلامى فى قرونه الاولى والثانية والثالثة بعد الهجرة أو حتى فى الاسهام والمشاركة الفعلية لاهلهما فى مثل تلك الاحداث . فالكوفة ، كما هو معروف، وصفت من قبل الكتاب بانها المدينة الثائرة ، فى الوقت الذى اكتسبت البصرة صفة المسالمة وانها عثمانية(1) الاتجاه . وليس غريبا او نقول ان الكوفة انتجت عددا كثيرا من الثورات والحركات ذات مضامين سياسية واجتماعية ودينية بلغت بثماني عشرة حركة خلال الفترة الاموية(2) فقط (41هـ - 132هـ). وبقيت الكوفة تربة صالحة للثورات العلوية والزيديه المتكررة والمتعددة خلال العصور العباسية الاولى والمتأخرة ايضا . وقد شكل بعض هذه الحركات السياسية خطرا جسيما ليس على الحالة السياسية فى العراق فحسب بل بصورة رئيسية على الشلطهالمركزيه المتمثلة بالبيت الاموى والبيت العباسى ، فثورة المختار بن ابى عبيد الثقفى (66-68هـ) وثورة زيد بن على بن الحسين (122 هـ) وثورة ابو السرايا زمن الخليفة المأمون (199 هـ) وثورة يحيى بن عمر بن يحيي بن الحسين بن زيد (249هـ) تعد من الثورات التى هزت كيان الدولة الاموية والعباسية واقضت مضاجع الخلفاء.

وبينما قامت الكوفة بمثل هذا الدور السياسى الثائر كان تاريخ البصرة السياسى بصورة عامة هادئا ماخلا بعض الحركات الصغيرة والمنعزلة والتى انتهت بسرعة دون ان تترك اثارا خطيرة . ومن الجدير ذكره أنه حتى فى هذه الحركات السياسية المنعزلة لم يشارك اهل البصرة مشاركة قوية وطويلة الامد .

ومن الممكن القول ان جميع الاحداث السياسية التى وقعت فى

البصرة منذ تأسيسها لم تكن احداثا نهيات في البصرة وانطلقت منها بل انها اتتهامن الخارج فيما عدا الحركة التى اثارها عبدالله بن ابى الجارود سنة ٧٥هـ/٦٩٤م على الوالى الاموى القوى الحجاج بن يؤسف الثقفى، فقد كانت حركة داخلية . ولكنها كانت قصير الامد جدا اذ انتهت على اثر مقتل ابن الجارود(٤) نفسه. ومن اجل توضيح هذه الفكرة نرى من الافضل ان نأتي على تلك الاحداث وبصورة سريعة ومقتضبة. ففى الفترة التى كان فيها مصعب واليا على البصرة نيابة عن اخيه عبدالله بن الزبير ثار الزنج ، ولما كان مصعب منشغلا انئذ بقضايا سياسية عديدة فقد اتيح المجال أمام تلك الحركة ان تشتد وتنمو، غير ان الوالى الذى خلف مصعبا حارب الزنج واسر عددا منهم ثم قتلهم(٥). والظاهر ان نجاح ذلك الوالى لم يكن تاما اذ ان الزنج اهتبلوا فرصة انشغال الحجاج الثقفى فى حربه ضد ابن الجارود فاعلنوا ثورتهم ونصبوا عليهم زعيما اتخذ لقب شير زنجى(٦) (اسد الزنج) . ولقد قويت شوكة الزنج هذه المرة وشكلوا خطرا كبيرا على الحجاج وولايته ، غير ان الاخير بعد ان نفرغ من حركة ابن الجارود التفت الى الزنج وحاربهم وانتصر عليهم وقتل زعيمهم(٧) فانتهى امر الثورة .

هذا ماحدث فى البصرة طيلة الفترة الاموية من احداث سياسية ولعله من المناسب ايضا ان نضيف ما قام به الخوارج الازارقة(٨) من هجمات على المدينة واثارة المتاعب على اهلها الى ماسبق ذكره . اما فى العصر العباسى الاول فانه لم يحدث امر ذواهمية كبيرة خلا الحركة التى اثارها ابراهيم بن عبدالله (اخو محمد ذوالنفس الزكية)

على الخليفة العباسي المنصور سنة ١٤٥/٧٦٢م، ولكن هذه الحركة ايضا لم تعش طويلا وانتهت بمقتل(٩) ابراهيم بن عبدالله في السنة ذاتها. ان الحركة السياسية المهمة التي اندلعت في منطقة البصرة في العصور العباسية المتأخرة والمتمثلة بثورة الزنج تعد من الثورات الكبيرة التي شهدها التاريخ العربي الاسلامي. فكانت حقا ثورة اقضت مضاجع الخليفة العباسي ودوخت جيوش السلطة العباسية مدة طويلة تقارب الخمس عشرة سنة، اذ امتدت من سنة ٢٥٥/٨٦٨ وحتى مقتل زعيمها في سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م(١٠). والذي ينبغي الاشارة اليه هنا انه حتى في هذه الثورة لم تشارك البصرةواهاليها مشاركة فعلية، وان قائد الزنج علي بن محمد، كما هو معروف لم يكن بصريا وهذا ينطبق ايضا بالنسبة الى جموع مؤيديه من الزنوج. والمتصفح لتاريخ الامم والملوك(١١) للطبري سوف لا يجد كثيرا من المعلومات التي تشير الى ان اهل البصرة وقفوا موقفامويدا وايجابيا من الثورة بل سيجد العكس وان معظم اهل المدينة كانوا يمتلكون اراض وعبيدا ولذلك فانهم قاوموا الثورة منذ بدايتها وحاربوا الثوار .

وعلى الرغم من عدم مشابهة البصرة لمدينة الكوفة في المجال الذي وقفنا عليه بشيء من التفصيل في الصفحات السابقة ، فان البصرة ، على العكس من الكوفة ، قد تعرضت الى عديد من التدخلات والهجمات والمحاولات من قبل الطامعين من حكام وأمراء المناطق المجاورة لها من اجل السيطرة عليها وضمها الى أملاكهم ومناطق نفوذهم . وربما لم يكن هذا واضحا خلال الفترات التي تكلمنا عنها سابقا، الا أنه يبرز بوضوح خلال العصور العباسية

المتأخرة • ففيها اصبحت البصرة هدفا لحملات متعددة أعدت من قبل قوى خارجية من امثال البريديين([12])، وأمراء البطائح([13]) ، وحكام الاهواز ، وحكام عمان، ثم من قبل قرامطة البحرين موضوع بحثنا.

لم يكن الهدف من وراء كتابة هذه الصفحات التطرق الى الدوافع التي دفعت تلك القوى المختلفة المجاورة للبصرة والطامعة في الاستحواذ عليها فان لهذه الموضوعات مجالات اخرى في المستقبل. ومع هذا فانه مما يجدر التأكيد عليه هو ان ظهور اطماع هذه القوى وتبلورها في هذه الفترة ـ واعنى الفترة الاولى من العصور العباسية المتأخرة • يعزى الى عدة عوامل واسباب سنحاول التعرف عليها فيما بعد •

لقد احدث وجود القرامطة السياسي في البحرين وتهديداتهم بل وهجماتهم المتوالية خطرا جسيما لا على البصرة وحدها بل وكذلك على السلطة العباسية في العراق بصورة عامة. ولكن مدينة البصرة كانت من اسوا المدن والمراكز الاخرى من المنطقة الجنوبية للعراق حظا ، اذ شن قرامطة البحرين عليها هجمات عديدة رافقتها أعمال مروعة من التخريب والعنف ضد أهل المدينة ، وقد اضيفت هذه الهجمات ونتائجها الى ماخلفته الضربات القاسية التي وجهها الزنج قبلهم الى المدينة واهلها •

ترجع تسمية القرامطة ، كما اشارت الروايات التاريخية الى كلمة قرمط والتي يقال انها كانت لقب الداعي الاسماعيلي حمدان([14]) قرمط • ويبدو ان الكلمة اطلقت عليهم من قبل اعدائهم وهم يسمون أنفسهم «المؤمنون المنصورون بالله والناصرون لدينه والمصلحون بالارض([15])» • والى حمدان قرمط هذا يعود الفضل في تاسيس فرقة قرامطة العراق ، وقد ركز ، في بث دعوته على المناطق الزراعية من

اواسط العراق وجنوبه وحصل على نجاح واسع بين الفلاحين الذين سحقتهم الضرائب الثقيلة الملقاة على عاتقهم وارهقتهم المعاملة السيئة التي كان يتبعها عمال الدولة وموظفوها في جمع تلك الضرائب وجشعهم. فكان هؤلاء ـ لهذه الاسباب وغيرها ـ يعلقون امالا كبارا على الدعوات الاصلاحية ، ويؤيدون بسهولة اى زعيم يرفع شعار تحسين احوالهم وانقاذهم من الاوضاع السيئة التي يعيشونها . وبالفعل فقد نجح حمدان قرمط نجاحا واسعا في تطبيق بعض المبادىء الاشتراكية في مجتمعه الصغير . ان اهم مايعنينا في هذا الصدد هو ان حمدان قرمط لم يكتف بنشر الدعوة الاسماعيلية في العراق فقط ولكنه اتخذ دعاة متعددين في بعض المناطق الاخرى المجاورة ، ومن بين هؤلاء الدعاة كان ابو سعيد الجنابي .

يرجع ابو سعيد الجنابي الى جنابه الواقعة على الساحل الشرقي من الخليج العربي وآن هناك رواية أدلى بها الصولى[١٦] مفادها ان الجنابي كان من اهالي البصرة غير ان المصادرالاخرى لا تسند رواية الصولى هذه. عين الجنابي في بداية الامر داعيا لحمدان قرمط على منطقة في جنوب ايران، ولكن امره انكشف هناك وطاردته السلطة . وبعدئذ استدعاه حمدان الى مقره الذي يقع بالقرب من بغداد في موضع يدعى كلواذى حيث أمره بالذهاب الى البحرين وزوده بجميع المعلومات عن احوال البحرين الاجتماعية كما زوده بالاموال اللازمة للدعوة. كان معظم اهل البحرين قبائل عربية تشتغل بالرعي وامتهن قسم منها الزراعة بالاضافة الى اشتغال بعض العناصر العربية وغير العربية بالتجارة. والظاهر ان البحرين كانت تربة ملائمة لنشر المبادىء المعادية للسلطة المركزية في العراق . فقبل ربع قرن تقريبا نجح صاحب[١٧] الزنج على بن

محمد في التبشير بدعوته فيها قبل ان يتحـــول عنها الى البصـــرة •
وعند وصول ابى سعيد الجنابـى الى البحريـــن وتبشيره بالـدعـــوة
الاسماعيلية حقق نجاحا هائلا أيضا •

ومن الجدير ذكره ان هذه المعلومات ماهى الا نبذةمختصرة عن تاريخ الحركة القرمطية فى البحرين ولم يكن هدفنا الخوض فى تفصيلات هذه الحركة ومبادئها الاشتراكية وتنظيماتها السياســـية وعلاقاتها مع الحركة الفاطمية فى شمال أفريقيا ومصر او معالحركة القرمطية فى بلاد الشام وانما علاقة القرامطة بالبصرة• ولعل من المفيد القول ان مثل تلك المواضيع قد بحثت بدرجة من التفصيـل والدقة من قبل عدد من المؤلفين العرب والاجانب امثال دىغويه(١٨)، وايفانوف (١٩) ،وبرنارد لويس (٢٠) وبندلى جوزى (٢١) وولفـر مادلنج (٢٢) ، وشتيرن(٢٣)، والدكتور الدورى (٢٤) وغيرهم•

القرامطة والبصرة : يقف المؤلف المشهور محمـــد بن جـريـر الطبرى (ت ٣١٠/٩٢٢) على رأس قائمة المصادر التى أعتمدناهـــــا والتى قدمت المعلومات المتعلقة بمحاولات القرامطة فى السيطرة عـــلى البصرة • واهميته تكمن فى معاصرة مؤلفة لفترة ظهور القرامطـــة والمصادر التى اعتمدها فى كتابة تلك الروايات• والى جانب هـذا المؤلف المشهور هناك عدد اخر من المؤرخين المسلمين الذين قـــاربوا فترة القرامطة واشاروا الى جوانب مهمةذات صلة وثيقة بموضوعنا• فيذكر ابن النديم ان ابا بكر محمد بن يحيى الصولى (ت٣٣٥هـ) قد ألف كتابا عنوانه القرامطة(٢٥)، ومن المؤسف حقا ضياع هـذا الكتاب اذ انه بدون شك كان يحتوى على مادة ثمينة ومعاصـرة•

وهناك ابو الحسن المسعودى (ت٣٤٥ أو ٣٤٦هـ)، وقد وردت فى كتابيه «مروج الذهب ومعاون الجوهر» والتنبيه والاشراف([٢٦])
أشارات قليلة ولكنها ذات اهمية خاصة . واهميه معلوماته ترجع الى أن ابا الحسن المسعودى قد اخذ بعضها من القرامطة انفسهم، وللاسف ايضا ان اغلب المعلومات التى اوردها عن القرامطة موجودة فى كتابيه القيمين اللذين مازالا مفقودين وهم « اخبار الزمان» و «الكتاب الاوسط». وابو الحسن ثابت بن سنان (ت٣٦٥/٩٧٥) يعد ايضا من المؤرخين المشهورين ، وقد كتب كتابا - غير انه ضائع - فى التاريخ ابتداء من سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧ واستمر به الى سنة ٣٦٠/٩٧٠ . ولهذا المؤرخ كتاب يدعى (اخبار القرامطة ([٢٧])) ومنه استقينا بعض المعلومات المتعلقة بهجمات قرامطة البحرين على البصرة ، وعلى اية حال فان الكتاب بحد ذاته صغير لا يفى بالغرض . وان هناك معلومات اقتبسها عدد من المؤرخين المتأخرين من (تاريخ ثابت ابن سنان واخبار القرامطة موجودة ايضا فى كتاب مسكويه (ت٤٢١/١٠٣٠) الموسوم بـ «تجارب الامم([٢٨])» وكذلك كتاب سبط ابن الجوزى (ت٦٥٤/١٢٥٦) الموسوم بـ «مراة الزمان([٢٩])» فى القسم الذى مازال مخطوطا فى اسطنبول . وفى الكتاب الاخير مادة واسعة ومفصلة اكثر مما هو موجود فى النسخة المطبوعه فى حيدراباد ويشير المؤلف فى هذا المخطوط الى المصادر التى اعتمدها ونقل عنها حرفيا ومن بينها تاريخ ثابت بن سنان. ثم لابد ان نذكر المؤرخ عريب بن سعد القرطبى (ت٣٦٩/٩٧٩) فى كتابه «صلة تاريخ الطبرى» . ومن المحتمل ان يكون عريب قد زار البصرة واستقى معلوماته عن هجوم القرامطة على المدينة من البصريين انفسهم([٣٠]). واخيرا وليس اخرا هناك معلومات عن موضوعنا عند ابن الاثير

(ت٦٣٠/١٢٣٢) في كتابه «الكامل في التاريخ» والذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤١) في مخطوطته «التاريخ الكبير[٣١]» والمقريزي (ت٨٤٥/ ١٤٤١) في كتابه «اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا».

مر مخطط ابي سعيد الجنابي - زعيم قرامطة البحرين-السياسي التوسعي في مراحل متعددة كانت اولاها قد ابتدات بعد وصوله الى البحرين في حوالى سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م اذ قام بنشر دعوته بصورة بارعة ونجح في جمع عدد غير قليل من الانصار والمؤيدين. ثم اعقب خطوته هذه بوضع الاسس الكفيلة لتامين سلامة انتصار ونجاح دعوته وذلك عن طريق القيام بتوسعات سياسية في داخل منطقة البحرين اولا . فافلح مثلا في ضم كل من اليمامة[٣٢]، وقطيف[٣٣]، وهجر[٣٤]، وجزيرة اوال[٣٥] . ولقد شجعت هذه الانتصارات الداخلية ابا سعيد ان يتهيا لتحقيق المرحلة الاخرى من ذلك المخطط الا وهو التوسع الخارجي وتوجهت انظاره بادىء بدء الى المنطقة المجاورة لمناطق نفوذه المتمثلة بالبصرة وبادية البصرة ثم بادية الكوفة والطريق البرى الذى يربط البصرة بالكوفة من جهة ثم الطريق البرى المهم الذى يربط البصرة بمكة من جهة ثانية. والى جانب هذه المراكز المهمة فان مناطق اخرى تقع على الساحل الغربى من الخليج العربى كعمان وعلى الساحل الشرقى منه مثل سيراف جلبت انظاره ايضا.

بعد مدة قصيرة جدا من استقرار سيطرته على البحرين، عزم ابو سعيد الجنابى على مهاجمة مدينة البصرة . فيحدثنا المؤرخ الطبرى وكذلك ثابت بن سنان[٣٦] أنه في سنة ٢٨٦ هـ وبعد ان استولى ابو سعيد الجنابى على القطيف، التى تبعد بضعة مراحل عن البصرة، وصلت الاشاعات

الى اهالى المدينة بانه قادم اليهاء فكان ان اضطرب اهالى البصرة باميرها من احتمال هجوم مفاجيء يقوم به القرامطة ٠ ولم يتجاهل الامير أنذاك احمد بن يحيى بن محمد الواثقى ، والى معاون البصرة وكور دجلة (اى المشرف على الشؤون الحربية للمدينة) ، خطر القرامطة فاسرع بالاتصال بالسلطة المركزية يخبرها بنوايا الجنابى طالبا الاسراع بارسال مساعدة عسكرية لصد هذا الهجوم ٠ وفعلا فقد اتخذ الخليفة المعتضد بالله خطوات حاسمة تدل بوضوح على مدى اهتمامه بالامر ٠ فهو اولا امر امير البصرة الواثقى ومتولى اعمال الصدقات والخراج والضياع فى المدينة ان يشيدا سورا يحمى المدينة من هجمات القرامطة ٠ وبهذه المناسبة فان المؤرخين السابقين يذكران ان الوالى لبى طلب الخليفة فى تشييد سور كبير للبصرة بلغت نفقة بنائه حوالى (١٤) الف دينار(٣٧)٠ ولم يكتف الخليفة المعتضد بهذه الخطوة بل ارسل ثمانى سميريات (نوع من قوارب الحرب) عليها ٣٠٠ محاربا الى البصرة ، ثم انه امر والى بلاد فارس المسمى العباس بن عمرو الغنوى ان يسير بجيشه الى البصرة لتلافى الوضع هناك ومحاربة القرامطة٠ وبعد وصول الغنوى الى البصرة اخذ يعد العدة ويجمع المحاربين حتى ، يقول الطبرى وثابت بن سنان انه استطاع ان يجمع عددا كبيرا من مطوعة البصرة والجند والخدم وسار فى ربيع الاخر سنة ٢٨٧ هـ لقتال الجنابى ٠ ويعد هذا اول لقاء مسلح يحدث بين جيش السلطة المركزية وقرامطة البحرين٠ ولكن نتيجة هذه المعركة لم تكن فى صالح الجيش العباسى اذ اندحر فيها العباس وجيشه بعد قتال عنيف ، ولم ينج العباس نفسه حيث اخذ اسيرا مع عدد كبير من الجند والمحاربين ولاقوا حتفهم على ايدى القرامطة٠ ويحدثنا الطبرى ان اهالى البصرة هرعوا مسرعين لنجدة من

حالفه الحظ ونجا من سيوف القرامطة وبرفقتهم مايقارب ٤٠٠ راحلة عليها ألطعام وألكسوة والماء • غير أن هذه الامدادات لم تصل الى المحاربين وذلك لخروج الاعراب عليهم وهم فى الطريق فسلبوا ماكان عندهم من امتعة وعتاد • ويعلق الطبرى على هذه النكبة الكبيرة بأن اهالى البصرة حينما سمعوا نبأ الهزيمة اضطربوا اضطرابا شديدا وعزموا على ترك المدينة والانتقال عنها لولا الجهود التى بذلها المشرف على الشؤون الحربية ـ الواثقى ـ الذى اقنعهم بالعدول عن رايهم(٣٨)•

كان انتصار القرامطة السابق على البصريين بداية لحملاتهم المتكررة الهادفة الى السيطرة على المدينة ، فيقال ان اباسعيد أعاد الكرة ثانية فى سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠ وذلك بقيامه بمناورة عسكرية بالقرب من البصرة الامر الذى أدى الى خوف الاهالى وفزعهم(٣٩)• ويبدو ان الهدف من وراء هذه المناورات معرفة ردود الفعل من جانب السلطة المركزية ، ولما تيقن القرامطة ان تلك الردود لم تكن فعالة وحاسمة نراهم يجهزون حملة اخرى لدخول البصرة • وبناء على زاوية مسكوية وابن الاثير (٤٠) ان الحملة حدثت سنة ٢٩٩هـ فى حين ذكر عريب القرطبى(٤١) انها كانت فى سنة ٣٠٠ هـ • ولقد اختلف هؤلاء المؤرخون فى تبيان تفصيلات هذا الهجوم ، الا انه بناء على قول عريب القرطبى يتلخص فى أن القرامطة افلحوا فى دخول المدينة فعاثوا بها ونهبوا اسواقها وحينما علم والى البصرة انئذ (محمد بن اسحاق بن كنداجيق) بالخبر ارسل جنده لمطاردة القرامطة وقد استطاع هؤلاء السيطرة على القرامطة واخراجهم من المدينة • ثم ان ابن كنداجيق حاول اللحاق بهم بنفسه الا أنه تراجع لحصولة على معلومات بان للقرامطة جيشا كبيرا مستعدا للسير نحو البصرة • لهذا اسرع بالاتصال بالسلطة فى بغداد طالبا المساعدة والامدادات ، وفعلا فان الوزير ابن الفرات جهز جيشا قويا

وارسله الى البصرة .

استمرت الامور على هذا المنوال حتى سنة ٣٠٧هـ/٩١٩ . وفي هذه السنة يروي ابن الجوزي([٤٢]) وسبطه رواية مفادها ان القرامطة دخلوا البصرة ونهبوها وقتلوا اهلها وسبوهم . ثم لم تمضي فترة طويلة على اعتدائهم هذا حتى تعرضت البصرة الى اعنف هجوم قام به القرامطة حتى هذا الوقت ، وذلك في سنة ٣١١هـ/٩٢٣ . ان اغلب المؤرخين([٤٣]) الذين تحدثوا عن حوادث هذه السنة يشيرون الى هجوم القرامطة على البصرة والمصائب التي واجهها اهلها خلال فترة احتلالهم لها . ولقد اختلفوا في ذكر عدد القرامطة المهاجمين فمنهم مثل ثابت بن سنان يجعل عددهم حوالي ٢٧٠٠([٤٤])رجل ، بينما تقدم المسعودي عددا اقل من ذلك فيجعلهم حوالي ٤٠٠ فارس و٥٠٠ راجل([٤٥]) . وتتفق جميع الروايات على ان ابواب سور البصرة كانت في وقت الهجوم مغلقة ، غير ان القرامطة كانوا يحملون معهم السلالم وبذلك استطاعوا الصعود على السور وفتح ابوابه . بعدئذ وقع صدام مسلح بين الاهالي وجند المدينة من جهة والقرامطة من جهة ثانيه في شارع المربد . وكان النصر الى جانب القرامطة حتى ان والي المدينة المسمى سبك المفلحي وقع قتيلا . وظلت البصرة مدة تناهز ١٧–١٨ يوما خاضعة لسيطرة القرامطة ، شهد اهلها خلال تلك الايام ظروفا قاسية جدا من القتل والنهب والاسر ، ولم تنج المدينة نفسها من غضب القرامطة الذين ضربوا اسواقها ونهبوها واحرقوا محلة المربد ودمروا جزءا من الجنابي لم يمكث طويلا وقرر مغادرة البصرة مع جماعته محملين بالمغانم والاسرى الذين أسروهم خلال مدة احتلالهم للمدينة . ويبدو ان أبا طاهر ارتاى التخلي عن المدينة حينما وصلته معلومات تفيد بان السلطة

المركزية في بغداد عازمة على أرسال جيش لمحاربته ٠

وبعد هذا الهجوم وحتى سنة ٣٤١هـ/٩٥٢ شهدت البصرة فترة ساد فيها الامان اذ لم يقم القرامطة بأية محاوله أخرى لمهاجمة المدينه٠ وربما يرجع السبب الى ان البصرة في خلال تلك الفترة كانت تخضع لسيطرة البريديين الذين كانوا على اتفاق ووئام مع قرامطة البحرين ، ومن المحتمل ايضا ان ذلك يرجع الى انشغال القرامطة في الهيمنة على مشاكلهم السياسية الداخلية التي ظهرت في اعقاب موت ابي طاهر ٠

منذ سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥ اصبح العراق خاضعا لسيطرة قوة اجنبية هم البويهيون ٠ وعلى الرغم من ان البويهيين كانوا شيعة فأنهم لم ليكونوا على علاقة طيبة مع القرامطه ٠ وأن قرامطة البحرين كانوا يتحينون الفرص لمهاجمة املاك البويهيين ، لاسيما وان معزالدولة (اول امير بويهي يحكم العراق بعد الغزو البويهي) قد اعتدى في سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧ على مناطق نفوذ القرامطة حينما سار بجيوشه عبر بادية الكوفة والبصرة من اجل القضاء على البريديين في البصرة ٠ ولقد جاءت ثمرة انتظارهم في سنة ٣٤١هـ/٩٥٢ ، فبناء على ماأورده كل من مسكويهوابن‌الاثير(٤٦) أن القرامطة في تلك السنة تحالفوا مع حاكم عمان ، يوسف بن وجيه، على تجهيز حملة عسكرية مشتركة ضد البصرة في الوقت الذي كان فيه معز الدولة منشغلا في محاربة ثائر اخر هو عمران بن شاهين امير البطائح ٠ وعلى هذا الاساس فان البصرة اصبحت عرضة لخطر الهجوم من جهتين ، الجهة البرية وكانت تحت قيادة القرامطة والجهه البحريه عبر الخليج العربي تحت قيادة اسطول صاحب عمان ٠ ومع قوة هذا الهجوم الا أنهم في النهاية لم يحققوا الهدف من الاستيلاء على البصرة ويرجع ذلك الى ان معز الدولة سبق المهاجمين بارسال وزيره المهلبي على راس جيش قوي للسيطرة على البصرة وصد أعتداء الغزاة٠ وبعد

معركة صغيرة حقق المهلبي انتصارا كبيرا واضطر القرامطة الى التقهقر الى البحرين •

غير أنهم اعادوا الكرة ثانية في سنة ٣٧٣/٩٨٣ مستغلين الوضع المرتبك الذي كان يواجهه الحكم البويهي في اعقاب وفاة الامير الذائع الصيت ، عضد الدولة • ولما كانت السلطة المركزية لم تقو على تجهيز جيش قوي وأرساله الى البصرة لاحباط هجوم القرامطة ، فانها رات ان تدخل في مفاوضات مع القرامطة وان تدفع لهم مبلغا كبيرا(٤٧) في مقابل انسحابهم الى البحرين وعدم تعرضهم للبصرة •

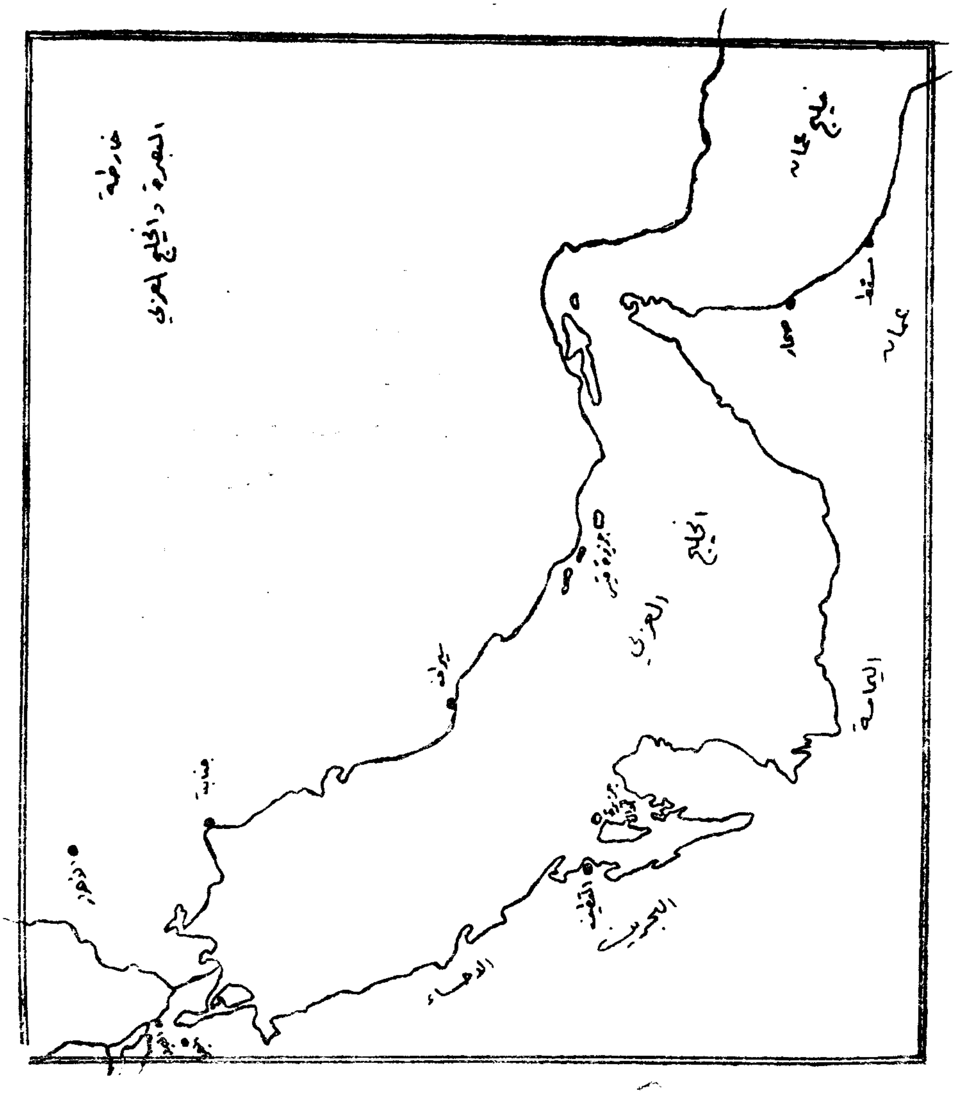
ولم يستمر هذا الاتفاق الا سنوات حينما اعادوا الكرة للمرة الثالثة في سنة ٣٨٥/٩٩٥ • اذ انه في هذه السنة خرج القرامطة بجيش قوي من البحرين بهدف دخول البصرة واحتلالها • فكان لوصول آنباء هذا الهجوم المرتقب اسوا الأثر على اهل المدينة الذين اضطروا الى تركها واللجوء الى المناطق الاخرى المجاورة هربا من قسوة القرامطة ، ويروي لنا سبط بن الجوزي (٤٨) ان السلطة المركزية في بغداد عندها سمعت بخبر حملة القرامطة اسرعت في تجهيز الجيوش وارسالها من العاصمة الى البصرة لابعاد خطر القرامطة • وبالفعل فقد تخلى القرامطة عن خطتهم الرامية في احتلال البصرة ورجعوا الى البحرين •

لا شك ان القاريء لاخبار تلك الهجمات التي شنها قرامطة البحرين على البصرة يلمس التفاوت في ردود فعل الخلافة العباسية بين القوة والفعالية في ارسال الامدادات والنجدات العسكرية حينا وبين الضعف والركون الى المصالحة والموادعة مع القرامطة احيانا اخرى • ان النكبات التي سببتها هجمات الطامعين المختلفين (ومن بينهم قرامطة البحرين) على البصرة في هذه الفترة من العصور العباسية ترجع الى

أسباب وعوامل متعددة تتصل اغلبها بالوضع العام للسلطة المركزية نفسها، أجد من الضروري ان نأتي على ذكر بعضها لعلاقتها القوية بموضوعنا .

من المعروف ان تاريخ البصرة السياسي لا يمكن تجريده وعزله عن التأريخ السياسي للعراق ككل وذلك لان البصرة لم تكن مستقلة في تنظيماتها السياسية والادارية والاقتصاديه عن السلطة المركزيه للعباسيين في بغداد . ولقد اعتاد الكتاب والمؤرخون المحدثون على اطلاق لفظة العصور العباسية المتأخرة على الفترة التاريخية المحصورة بين سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦ وحتى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨ فالفترة التي ازدادت فيها فعاليات قرامة البحرين السياسية وهجماتهم على البصرة تقع في هذه الحالة ضمن الخطوط العامة للعصور العباسية المتأخرة . تلك العصور التي يمكن تشخيص اهم السمات التي امتازت به بمايلي :ـ الضعف العام الذي ظهر على شخصيات الخلفاء(٤٩) بترددهم في اتخاذ القرارات الحاسمة وبانشغالهم عن ادارة شؤون الدولة بأمور تافهة وبسيطرة البلاط والحاشية على مقاليد الحكم . وامتازت هذه الفترة ايضا بقوة نفوذ وسطوة العناصر العسكرية الاجنبية والتي اخذت تدخل الجيش العباسي بشكل كبير منذ خلافة المعتصم فما بعد من امثال الاتراك والديالمة، وبمرور الزمن اصبح هؤلاء هم السادة المتنفذون والمسيطرون الحقيقيون على الخلفاء وشؤون الدولة السياسية والادارية والاقتصادية . ولضعف الجهاز الاداري وسيطر القواد والجنود المتنافسين فيما بينهم كثرت الاضطرابات السياسية الداخليه وزاد الارتباك المالي على خزينة الخليفة الخاصه من جهه وخزينة الدولة بصورة عامة التي عجزت عن سد متطلبات الجند . وفراغ الخزينه والاضطراب المالي جاء بدرجة رئيسة من زيادة الصرف بجميع مناحيه بالقياس الى قلة الوارد . وعلى اثر هذا برز تحول اقتصادي مهم هو اتساع مفهوم الاقطاع، اذ اخذت السلطة تمنح الاقطاعات الكبيرة والصغيرة

في داخل العراق الى كبار القواد والجنود وذلك مقابل رواتبهم التـــي لم تستطع السلطة تلبيتها باستمرار • ولذلك زاد تسلط اصحاب الاراضي من عسكريين ونبلاء واصحاب اموال وتجار في الوقت الذي عاشت فيــه الطبقة الفقيرة من فلاحين وعبيد واصحاب المهن الصغيرة ظروفا اقتصاديـة قاسية متمثلة بالضرائب المرهقة من جهه والمعامله القاسية من موظفي الدول وجباة الضرائب من الجهة الاخرى • والانكى من هذا كله ان هـــذا التحول الاقتصادي رافقه خراب الاراضي الزراعية ودمارها ، والزراعـة كانت العمود الفقري للحياة الاقتصادية في العراق • فالعسكريون ـ كما يروي مسكويه ـ(٥٠) لا هم لهم من هذه الاقطاعات الا جمع الامـــوال دون الالتفات والاعتناء بنظام الري واصلاح الاراضي وتحسين الزراعـــة فما كان الا أن خربت كثير من الاراضي الخصبة وضعفت قدراتها الانتاجية وبالتالي اضطر فلاحوها على تركها الى المدن او المراكز الاخرى • اما في المدينة فان توسع التجارة والصيرفة والصناعة ادى بدوره الى تعقد اجتماعي واضح اذ برزت الفواصل الطبقية نتيجة لتركـــز الامـوال والتجـارات والعقارات بايدي التجار والاغنياء في حين اتسعت طبقة الفقراء ، فنتـج عن هذا التناشز الاجتماعي تذمر واسع اندلع على شكل ثورات اجتماعيـة ســياســية عنيفة • ان هذه التحولات الاقتصادية لازمـتها، كما بينا تغيرات ادارية مستمرة ، وارتباك سـياسي في داخل العاصمة بغداد مــن جهة والعراق وبقية اجزاء الامبراطورية العباسيه من الجهه الاخـرى • وادى هذا الضعف السياسي(٥١) والاداري ثم الازمة الماليه العنيفة والدائميه الى تشجيع ظهور أطماع المتنفذين والطامعين والثائرين، فتقطعت بذلـــك الدولة العباسية الى اوصال وتكوينات سـياســية متعددة استقل بعضها استقلالا ذاتيا عن جسم الدولة فاستمر رؤوســـاء هذه الامارات مرتبطين ارتباطا صوريا بالخليفة العباسي ، فذكروا اسمه من على المنابر، وضربوا



خريطة
البصرة والخليج العربي
خليج عمان
عمان
صحار
مسقط
الخليج العربي
جزيرة قيس
اليمامة
البحرين
القطيف
الاحساء

أســـمه على النقود(٥٢)٠ فى الوقت الذى قطع البعض الاخر من هـــذه التكوينات كل صلة له بالسلطة العباسية ، واعلن رؤسـاؤها اســـتقلال اماراتهم استقلالا تاما(٥٣)٠ ان عوامل كهذه ساعدت بطبيعة الحال عـلى اضعاف الرابطة التى كانت قوية فى العصور العباسـية الاولى بين العاصمه والبصرة ٠ علما بان السلطة حتى فى اشد الفتـــرات قلقا وضعفـا من الناحية السياسية كانت ، حسبما راينا ، لا تتوانى عن ارســال الامدادات العسكرية من اجل دفع الاخطار والتدخلات التى تتعرض لها البصرة ٠ فكانت تحاول جهد الامكان تجهيز الجيوش القوية لمحاربة القرامطة٠ غير ان الظروف السياســية القاسية التى كانت تعيشها الدولة العباســيه وقفت فى كثير من الاحايين حائلا قويا امام اى ردود فعل سريعة وحيوية ضد اعتداء الطامعين ٠

بقى علينا ان نشير الى نقطة اخيرة ترتبط بالاغراض الحقيقيـــة الكامنة وراء الهجمات المشار اليها والتى شنها القرامطة على البصرة ، وهل كانت تهدف الى مجرد الاغارة والنهب واثارة الفزع والرعب فـــى قلوب اهل المدينة ، ام انها كانت تسير وفق خطة محكمة هدفها النيـل من الســلطة العباسية فى بغداد واشغالها باعتبارها العدو اللدود للقرامطة من جهة والحركة الاسماعيلية من جهه اخرى ، ام انها كانت لتحقيـق مآرب وغايات اخرى ؟ وعلى الرغم من صعوبـة ترجيـــح احد هـــذه الاحتمالات على الاخر او تحديد الاجابة الدقيقة والمباشرة عـن هـــــذه التساؤلات فأننا سنحاول التحدث عن ذلك فى شقين :ـ اولهما الاشارة الى ان قرامطة البحرين لم يقصروا فعالياتهم فى اظهار اطماعهم فـــــى السيطرة على البصرة وضمها الى مناطق نفوذهم على الجانب العسكرى فقط بل ان هذه الاطماع توضحت الينا فى عدد من المناسبات السلمية منهـــا

مثلا ماحدث فى سنة ٣١٢/٩٢٤ ٠ ففى هذه السنة ارسل ابو سعيد الجنابى ـ مؤسس دولة قرامطة البحرين ـ رسولا ألى الخليفة العباسى المقتدر (حكم من ٢٩٥ وحتى ٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م) عارضا عليه شروطه فى سبيل التوصل الى صلح ٠ ومن بين هذه الشروط تعهده باطلاق سراح الاسرى الذين سبق له ان اسرهم فى حروبه ضد السلطةالمركزية وان هذا لا يتم الا مقابل اعطائه حق السيطرة على كل من البصرة والاهواز(٥٤)٠

اما الحادثة الثانية والتى تشير الى نفس الغرض وقعت فى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣ وكان ابو طاهر ابن ابى سعيد الجنابى زعيما للقرامطة انذاك ٠ فبناء على الرواية التى اوردها ابن الاثير(٥٥) ان اباطاهر دخل فى مفاوضات مع الخليفة العباسى طالبا منه ايضا التوصل الى عقد صلح بين الطرفين ، بموجبه يتعهد ابوطاهر بتامين سلامة وصول الحجاج الى مكة لاداء فريضة الحج ورجوعهم وعدم التعرض لهم ، كما انه اعطى وعدا بانه [اى ابو طاهر] سوف يعلن تبعيته للسلطة العباسية وذلك بذكر اسم الخليفة فى الخطبة من على المنابر فى هجر٠ وفى مقابل كل هذه التنازلات فان ابا طاهر طلب من الخليفة ان يسمح له فى السيطرة على واردات البصرة ٠

هاتان الروايتان تعكسان اهمية واضحة وتشيران الى الاهداف الرئيسة التى دفعت قرامطة البحرين ان يركزوا على الجانب العسكرى فى محاولاتهم لوضع ايديهم على البصرة ، لاسيما وان مطاليبهم السلمية لم تلق اذانا صاغية عند الخليفة العباسى ٠ ان تلك الاغراض كانت اقتصادية دون شك٠ فمما تجدر الاشارة اليه فى هذا المجال ان البصرة

والاحواز كانتا من المراكز المهمة والحيوية جدا للحياة الاقتصادية للدوله العباسية ، اذ انهما بالاضافة الى حاصلاتهما التى تمون اســـواق بغداد، فانهما كانتا تحتكران مكانا جغرافيا وبالتالى اقتصاديا ممتازا. فالبصرة مثلا لم تعد كما كانت عند بدء تاسيسها ذلك المعسكر القبلى البسيط بـل قفزت سريعا نحو الاستقرار والازدهار ، فأصبحت ميناء العراق الوحيـد الذى تاتى عن طريقه التجارات فى البحر من الهند والصين وســواحـل افريقيا، وكانت السوق الرئيس الذى تتجمـــع فيه البضـائع والمنتجات الزراعية والصناعية الاتيه برا من بلاد فارس او من اجزاء مختلفـة من الجزيرة العربية(٥٦). ولتأكيد ماسبق ان قدمناه على اهمية البصرة والاهواز بالنسبة للخلافة العباسية لابد من الاســتشهاد بما قاله مرة الوزير ابن مقلة للخليفه الراضى بالله [حكم من سنة ٣٢٢هـ - ٣٢٩هـ/٩٣٣-٩٤٠] عندما قطع القائد التركى ابن رائق - صاحب البصرة - اموال هـــذه المنطقة من ان ترسل الى عاصمة الخلافة . قال الوزير «قد انغلقت عليـك هذه البلدان ، وهى بلدان المال بما فعله محمد بن رائق مـن الامتنـاع من حمل مال ضمانه ومتى رأى غيره ان ذلك قد تم له واحتمل عليــه تأسى به فذهب مال الاهواز فبطلت المملكة(٥٧)» . ولذلك فان اســـتيلاء القرامطة على البصرة بصورة دائمية او مؤقتة تعنى فى حقيقة الامر تجريد الخليفة العباسى من مورد اقتصادى لايمكن الاستغناء عنه. ولهذا ايضا نجد الخليفة العباسى يرفض تلبية مطاليب القرامطة فى كلتا الحادثتـــين الســـابقتـين .

ولا ادل على مكانة البصرة واهميتها الاقتصادية بالنسبة الى قرامطة البحرين من ان هؤلاء كان لديهم ديوان (٥٨) على ابواب البصرة المطلـــة على البادية ، وكانوا ياخذون المكوس والضرائب من الحجاج (٥٩) والتجار

على السواء الخارجين من البصرة • حتى أنه فى سنة ٣٥٩/٩٦٩فىالوقت الذى بلغت سطوة قرامطة البحرين السياسية مكانة عظيمة فرضوا حصارا عاما على البصرة ، واعلنوا بانهم سوف لن يسمحوا بمرور اية قافلةخارجة من البصرة والكوفة من خلال بادية البصرة (٦٠) الى مكة • وبديهى ان ذلك يعنى ان اية مخالفة لاعلانهم هذا ستؤدى الى تعرضهم لقوافل الحجاج والمسافرين ونهبها • ولعل ذلك جاء على اثر امتناع الحجاج الذاهبين الى مكة عن دفع الخفارة او الضرائب الاخرى التى اعتادوا على دفعها الى القرامطة

اما الامر الاخر الذى يمكننا سوقه فى هذا الصدد فهو ان المخطط العام لقرامطة البحرين لم يكن مقصورا على مدينة البصرة فحسب وأنما على اغلب المناطق والمراكز التى تمتعت بسمعة تجارية مهمة وبصورة خاصة تلك التى تقع على ساحل الخليج العربى • فالقرامطة منذ بداية تأسيس دولتهم فى البحرين نجحوا ، كما اسلفنا ، فى السيطرة على جزيرة أوال ـ تلك المحطة التجارية المهمة الواقعه فى طريق السفن التى اعتادت ان تمخر الخليج العربى ـ وقد كانت تابعة فى تلك الفترة الى الاحساء • وكان للقرامطة فى هذه الجزيرة ديوان ايضا تفرض فيه المكوس والضرائب على السفن التجارية المتجهة صوب شط العرب الى البصرة • وتحتل هذه الجزيرة موقعا حيويا اذ انها كانت تسيطر على النقل البحرى عبر الخليج العربى وباتجاه العراق • ويشير الجغرافى المشهور ابن حوقل الى ان الضرائب المفروضة على التجارات المارة بهذه الجزيرة كانت عالية جدأ (٦١)

وفى الوقت ذاته فأن قرامطة البحرين أفلحوا فى الاستيلاء على عمان فى عدد من المحاولات ، مع العلم بأن سيطرتهم عليها امتدت لأمد قصير وعمان اشهر من ان تعرف من حيث تمتعها بموقع تجارى ممتاز على الخليج

العربـــــــــى (٦٢) .

والى جانب عمان فان سيراف ، الميناء التجارى (٦٣) الذائع الصيت خضع للقرامطة ايضا . يروى ابن الجوزى انه فى سنة ٣٠٣هـ/٩١٥ دخل الوزير الورع على بن عيسى فى مراسلات مع القرامطة (وهاداهم واطلق لهم التسويق بســـــيراف (٦٤)) . وصف الجغرافى الاصطخرى سيراف بأنها تلك الفرصة التى تمر بها (٦٥) صادرات فارس وواردتها . وهى تقع تقع على الجانب الشرقى من الخليج العربى . ولقد قدرت المكوس التـــى تؤخذ من السفن المارة بها فى اواخر القرن الثالث للهجرة بحوالى مائتـــين وثلاثة (٦٦) وخمسين الف دينار فى كل سنة . وكانت لسيراف علاقـات تجارية قوية مع البصرة .

واخيرا فانه يجب ان لايغرب عن بالنا الدور المهم الذى قام به الدعاة الاسماعيليون فى التبشير بمبادئهم فى مثل هذه المراكز التجارية وغيرها امثال اليمن والهند (٦٧) . اذكان اغلب هؤلاء الدعاة يتزيون بزى التجار .

من كل ما مر بنا اريد ان اخلص الى القول بان هجمات قرامطـــة البحرين على البصرة لم تكن مدفوعة لاغراض السلب والنهب بل بالدرجة الاولى والرئيسة كانت محاولات هدفها السيطرة على البصرة وضمها الى املاكهم لما كانت تتمتع به هذه المدينة ومنطقتها من مزايا اقتصادية وتجاريه ملحوظة . ومما لاشك فيه ان هذه الهجمات هى فى الوقت ذاته ضربــــة سياسية وعسكرية موجهة ضد سلطه العباسيين فى بغداد .

الهوامش

(١) الدكتور صالح أحمد العلي : التنظيمات الاجتماعية فى البصرة فـــى القرن الاول للهجرة (ط ١ بغداد ١٩٥٣) ص ٦

(٢) البراقى : تاريخ الكوفة [ط ٢ النجف ١٣٥٦ هـ] من ص٢٥٠ـ٣٥٠

(٣) من الملاحظ أن موضوع أحوال العصرة السياسية خلال الفـــترات الاسلامية المختلفة لم ينل أهتمام الباحثين ، وأن أغلب الدراســـات التى ظهرت عن هذه المدينة تناولت الجانب الادبى بصورة خاصـــة ومع هذا فاءن للدكتور صالح العلى السبق فى التعمق بدراســـه أوضاع البصرة الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن الاول للهجرة فى كتابه الذى أشرنا أليه أعلاه ، وقد طبع طبعتين الاولى فى ١٩٥٣ والثانية فى ١٩٧٠ . كما أن الكتاب الذى الفه الاستـــاذ شارل بلا الموسوم ب .

Le Milien Basrien et la formation de Gahiz: Paris 1953

يعد كتابا هاما عن دراسة احوال ألبصرة الجغرافية خـــلال الفترة التى سبقت الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وخلال فترته أيضا .والكتاب ترجم الى اللغة العربية ترجمه جيدة من قبل الدكتور أبراهيـــم الكيلانى فى دمشق ١٩٦١ . على الرغم من وجود عدد قليل مـــن الهفوات أخص بالذكر منها تلك الاشارة المتعلقة بعدد اليهود فـــى البصرة . كما أن هناك كتابا اخر يتصل بالحياة الادبية فى البصرة من تأليف د. أحمد كمال زكى الموسوم [الحياة ألادبية فى ألبصرة الى نهاية القرن ألثانى للهجرة] دمشق ١٩٦١ . ومن ألممكن أضافة أضافة أطروحتى التى حصلت بها على درجة الدكتوراه من جامعـــه لندن الى هذه القائمة ، وموضوعها يتعلق بالحياة السياســـية والاجتماعية والاقتصادية للبصرة خلال القرنيين الرابع وألخـــامس الهجريين (١٩٧٠) . وفى الوقت ذاته فاءن هـــناك عددا مـــن المقالات الجيدة عن البصرة وطبوغرافيتها الاولى للدكتور صالح أحمد العلى [خطط البصرة] مجلة سومر (١٩٥٢ ص ٧٢ـ٨٣ ، ٢٨١ـ٣٠٣

والثانيـــة للاستـــاذ ماسنيون **Massignon**
"Explication du plan de Basra" in the Wostostliche Abhandlungen R. Tshudi, (1954) 154-74,
ومقالة الاستاذ شارل بلا ٠ **Basra.** فى دائرة المعارف الاسلامية (ط ٠ جديدة) ٠

(٤) انظر عن ثورة ابن الجارود الطبرى : تاريخ الرسل والملوك [ط ٠دار المعارف ١٩٦٤] ج ٦ ص ٢١٠ ــ ٢١١

(٥) أبن الاثير : الكامل فى التاريخ ج٤ ص ٣١٤ ٠ كذلك
Noldeke: Sketches from Eastem History, Translated by Black (1892) p. 15,

(٦) أبن الاثير : المصدر السابق ص ٣١٥ ٠ أبن خلدون ــ العبر ج ٣ ص ٩٨ وأنظر أيضا اطروحة الدكتور عبد الامير دكسن (جامعة لندن)
The Umayyad Caliphate 65-86 A,H
(A politucal Study), 1969, pp. 259-263

(٧) أبن الاثير ج ٤ ص ٣١٥ ٠

(٨) اليعقوبى : تاريخ [تحقيق هوتسما ١٨٩٣] ج٢ ص ٢٦٠ ، الدينورى الاخبار الطوال (مصر) ص ٢٦٥ ٠ الطبرى ج٥ ص٥٦٦ــ٦٧، ٦١٣

(٩) الطبرى ج٧ ص ٦٢٢ــ٦٤٨ ٠ كذلك أنظر
Dr Farouk Omar: The Abbasid Caliphate 132-70, (Baghdad 1969) pp, 240-245,

(١٠) يعتبر تاريخ الرسل والملوك للطبرى المرجع الاساس عن موضوع ثورة الزنج ، فهو يتطرق بالتفصيل فى الجزء التاسع من الطبعة التى أعتمدناها على تحركاتهم ونشاطاتهم السياسية ٠ هناك أيضا عدد

من البحوث المتينة عن هذا الموضوع يقف على رأسها كتاب الدكتور فيصل السامر (ثورة الزنج) ط٢ ١٩٧١ · ثم ماكتبه الدكتور عبد العزيز الدوري في كتابه (دراسات في العصور العباسية المتأخرة) بغداد ١٩٤٥ · من صفحة ٧٥ من ١٠٦ · وكتاب (ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد) للاستاذ أحمد علبي (بيروت ١٩٦١) ·وأخيرا أطروحة المستشرق الكسندر بوبوفيتش ·

"Ali ibn Muhammad et la revolte des esclaves a Basra" Paris 1965,

(١١)أنظر ج ٩ صفحات ٤١٧ ، ٤٢٦ ، ٤٣١ ـ ٤٣٧ ، ٤٨١ ـ ٤٨٤ ·

(١٢)البريديون ثلاثة اخوان اسسوا أمارة واسعة شملت الاحواز والبصرة والبطائح وقد أمتدت من سنة ٣٢٤ حتى ٣٣٦ هـ · هناك بحث مفصل بالنغة الانكليزية عن البريديين والبصرة في أطروحه كاتب المقال المشار اليها انفا ·

(١٣)منذ سنة ٣٣٨ هـ تقريبا أسس عمران بنشاهين امارة في البطائح (الاهوار) ·ولقد شكل عمران خطرا كبيرا على سير السفن التجارية العائدة لسلطة بغداد والمارة عبر البطائح من البصرة الى بغداد وبالعكس · أنظر سكويه : تجارب الامم ج٢ ص ١٢٠ ، ١٢٩ـ١٣٠ أبن الاثير ج ٨ ص ١٧٣ ، ١٧٦ ـ ١٧٧ · كذلك

Kabir, M : The Buwayhid Dynasty of Baghdad, (Calcutta 1964) p, 10-11,

(١٤) أنظر عن التسمية وأختلاف الاراء فيها ، الطبرى ج ١٠ ص ٢٤ · أبن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم (ط· حيدر اباد ١٣٥٧هـ) ج ٥ ص ١١ · المقريزى ـ أتعاظ الحنفا بذكر الائمة الفاطميين الخلفا (نشر الدكتور جمال الدين الشبال · القاهرة ١٩٤٨) ص ١٣٠ · وكذلك أنظر ماكتبه المستشرق دى غويه في كتابه

Memoire sur les Camathes du Bahrain et les Fatimides, p, 191-200;

(١٥) المقريزى ـ أتعاظ ص ١١٠

(١٦) جاءت رواية الصولى هذه فى كتاب دول الاسلام للذهبى [ط • حيدر أبـــاد ١٣٦٤ ـ ٦٥] ج ١ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ •

(١٧) أنظر ألطبـرى ج٩ ص ٤١٠ • ألصفـدى : مخطوط الوافـــى بالوفيات (أسطنبول ، مكتبة توب كوبى سراى رقم ١ح/ A: 2920/21 مجلد ٢٠ ورقة ١٦٩ ب •

(١٨) De goeje :

1) Memoire sur les, **Carmathes** du **Bahrain** et **les Fatimides, Leyden 1886**

ويعد من الكتب القديمة الجيدة عن الموضوع وفيه ملاحظات ذكيـــة عن علاقة هجمات القرامطه على البصرة واتقدم الفاطميين فى شمـــال افريقيه

2) La fin de L'Empire du Carmathes du Bahrain" in Jowrnal Asiatique **(1895) pp, 1-30,**

(١٩) يعتبر أيفانوف ، ألمستشرق ألروسى ، من ابرز المتخصصين فـــى موضوع الاسماعيلية فهو بألاضافة ألى كتابته اعدد من ألمقـــالات القيمة قام بتحقيق عدد من كتبهم • ومن مقالاته ألمهمة وألمتعلقـه بموضوع بحثنا "Ismailis and Qarmatians" نشرها فى مجلة Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Soiety (xvl, 1940) pp, 43-85;

(٢٠) وبصورة خاصة كتابة ألقيم ألموسوم

The Origins of Isma'ilism (Cambridge 1940)

وقد ترجم ألى اللغة العربية •

وله مقالة جيدة هى :ـ

"Government, society and economic life umder the **Abbasid and Fatimid"** in the Cambirdge Medievel History" 2nd ed (Iv, **1966)** p, 648;

(٢١) بندلى جوزى : من تاريخ ألحركـات الفكرية فـى ألاســلام (بيروت) ألفصل الخاص بألقرامطة من صفحة ١٥٩ ألى ٢١٧ .

(٢٢) W, Madelung : "Fatimiden und Bahrainqarmate " in Der Islam (مجلد ٣٤، ١٩٥٨) pp, 34—88

(٢٣) stern: "Isma'ilis and Qarmatians" in

L'elaboration de I'Islam (1961) pp, 99-108

(٢٤) ألدكتور عبدالعزيز ألدورى : دراسات فى ألعصور العباسية المتأخرة (١٩٤٥) يحتوى على فصل ممتاز عن ألاسمأعيلية وألقرامطة مــــن صفحه ١٢٦ ألى ١٨٦ .

وهناك مقالة للاستاذ Canard عن الجنابى al-Jannabi فى دائرة ألمعارف ألاسلامية (ط. جديدة) . كمـا وان هنـــاك كتابا من قرامطة ألعراق تأليف محمد عبدألفتاح عليـــان (ألقاهرة ١٩٧٠) وهو من ألكتب ألجيدة .

(٢٥) ابن النديم : فهرست « ليبـــزج ١٨٧١ـ٧٢» ج١ ص ١٥٠ـ١٥١ وانظر أيضا سبط بن ألجوزى «مخطوط فى ألمتحف البريطـــانـى رقم Or, 4619 ورقة ١٣٩ (ب) . ياقــوت . معجم الادبـــاء «باعتناء مرغليــوث» ج٧ ص ١٣٧ .

(٢٦) مروج الذهب ومعاون الجوهر «٤ أجزاء» القاهرة ١٩٣٨) . التنبيه والاشراف (تحقيق دى غويه ، ليدن ١٨٩٣)

(٢٧) كان البروفسور برنارد لويس يمتلك نسخة فريدة وقــد اعتمدت عليها فى ذكر بعض الاشارات عن هجمات ألقرامطة على البصرة . وألمخطوط حققه الدكتور سهيل زكار فى سنة ١٩٧٠ .

(٢٨) تجارب ألامم «باعتناء أمدروز ، ألقاهرة ١٩١٤».

(٢٩) مرآة الزمان فى تأريخ الاعيان ، ولقد نشر هذا الكتاب فى حيدراباد خلال سنتى ١٩٥١ـ١٩٥٢ · غير أن هذه ألنسخة لم تكن جيدة وناقصة ، وهناك مخطوطتان مازالتا - فيما عدا جزء واحد متعلق بالسلاجقة حققه أستاذ فى تركيا - غير محققين أحداهما فى أسطنبول، ، مكتبة أحمد الثالث تحت رقم No, 2907c وتحتوى على معلومات ثمينة ومفصلة عن تأريخ العراق لم ترد فى الطبعه المنشورة · كما أن هناك نسخة اخرى فى المتحف البريطانى تختلف عن نسخة اسطنبول من حيث التفصيلات وهى تحت رقم Arab, No, 1506; Paris وتوجد نسخة ثالثة فى باريس فى Bibliotheque National تحت رقم وصورة من هذه النسخة موجودة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٥٥١ تاريخ

(٣٠) عريب بن سعد الكاتب القرطبى : صلة تأريخ الطبرى «تحقيق دى غويه ، ليدن ١٨٩٧» ص ١١٠ـ١١١ ·

(٣١) تأريخ الاسلام للذهبى مازال مخطوطا موجودا فى مكتبة المتحف البريطانى ، ويحوى معلومات تاريخية وتراجم أشخاص غير موجودة فى كتبه المنشورة المتعددة · ورقم المخطوط Or, 48, 48;49-52 · كذلك توجد نسخة من هذا التاريخ فى مكتبة بودليان فى أكسفورد تحت رقم Nos, Land , Or; 279 ; 305

(٣٢) اليمامة :- مدح ياقوت الحموى اليمامة بقوله أنها كانت احسن بلاد الله ارضا واكثرها خيرا وشجرا ونخيلا · وتبعد حوالى ١٦ مرحلة عن البصرة ولها واد يسمى وادى الخرج فيه عدة قرى · أنظر ياقوت : معجم البلدان «٦ أجزاء نشر فستنفلد، ليبزج» ج٤ ص ١٠٢٨ ، أبو الفداء : تقويم البلدان «باريس ١٨٤٠» ص٩٦ـ٩٧

(٣٣) قطيف : مدينة بالبحرين كانت خلال فترة ياقوت الحموى قصبة البحرين · وتقع على شاطىء الخليج العربى ، فيها نخيل كثير اقل من نخيل الاحساء ، وللمدينة ايضا خور من البحر يدخل فيه المراكب الكبار فى حالة المد والجزر · أنظر ياقوت : البلدان ج٤ ص ١٤٣ ، ابو الفداء : تقويم ص ٩٨ـ٩٩ ، مراصد للاطلاع «القاهرة ١٩٥٤» ج٣ ص ١١١٠

(٣٤) هجر مدينة في البحرين ، وصفها ياقوت على أنها قاعدة البحرين. ياقوت البلدان ج٤ ص ٩٥٣ ، مراصد الاطلاع ج٣ ص ١٤٥٢ .

(٣٥) أوال : جزيرة كانت تقع بالقرب من القطيف ، ويحيط بها البحر بناحية البحرين. تبعد يوم واحد عن القطيف، وبها مغاص مفضل على غيره . يقول أبو الفداء أنها تحوى على ٣٠٠ ضيعة وفيها كروم كثيرة ونخيل واترج . ياقوت ج١ ص ٣٩٥ ، أبو الفداء : تقويم ص ٣٧٠-٣٧١ .

(٣٦) طبرى ج١٠ ص ٧١ ، ثابت بن سنان ورقة ١٠-١١. المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١١٠

(٣٧) طبرى ج١٠ ص ٧١ ، ثابت بن سنان ورقة ١٠-١١

(٣٨) طبرى ج١٠ ص ٧٨ ، ثابت بن سنان ورقة ١٠-١١

(٣٩) طبرى ج١٠ ص ٨٥

(٤٠) مسكويه ج١ ص ٣٣-٣٤ ، أبن الاثير : الكامل «القاهرة ١٢٩٠هـ» ج ٨ ص ٥٠ .

(٤١) عريب القرطبي ص ٣٨ .

(٤٢) أبن الجوزى : المنتظم ج٦ ص ١٥٣ ، سبط بن الجوزى «مخطوط المتحف البريطاني» ورقة ٦٩ أ . يذكر أبن كثير الحادثة في حوادث سنة ٣٠٦ هـ. أنظر البداية والنهايه (القاهرة ١٩٣٢) ج١١ ص ١٣٠ .

(٤٣) عن الحادثة انظر حمزة الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الارض والانبياء «ط. ليبزج ١٨٤٤» ص ١٣٠ ، ثابت بن سنان ، ورقة ٣٠، مسكويه ج١ ص ١٠٦-١٠٥ ، المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٨٠ ، أبن الجوزى : المنتظم ج٦ ص ١٧٣-١٧٤ . ابن الاثير ج ٨ ص ٤٩ ، المقريزى : اتعاظ ص ١٢٤-١٢٥ «والمقريزى ذكر خطئا ان الهجوم وقع سنة ٣١٠ هـ»

(٤٤) ثابت بن سنان ورقة ٣٠

(٤٥) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٨٠

(٤٦) مسكويه ج٢ ص ١٤٣ ، ابن الاثير ج٨ ص ١٧٩ ، وانظر ابا الفداء : المختصر فى اخبار البشر ج٢ ص ١٠٥ . يضع كل من أبن ألجوزى «ج٦ ص ٣٦٨-٣٦٩» وسبطه « مخطوط مرآة الزمان فى أسطنبول مجلد ٩ ورقة ٣٢ ب» ألحادثة فى سنه ٣٤٠هـ/ ٩٥١ .

(٤٧) انظر ألمنتظم ج٨ ص ١٢١-١٢٢ ، البداية والنهاية - ج١١ ص٣٠٢

(٤٨) مرآة الزمان «مخطوط ألمتحف البريطانى» ورقة ١٨٧ ب

(٤٩) أنظر عن ألموضوع الدكتور عبد العزيز الدورى - دراسات فى العصور العباسية ألمتاخرة من صفحة ٣٤ ألى ٧٣ ، وكذلك ١٨٧-٢٣٦ . ثم ماجاء فى تاريخ ألعراق الاقتصادى فى ألقرن الرابع للهجرة «بغداد ١٩٤٨» صفحة ٢٧ ألى ٤٨ . وانظر مقالة البروفسور برنالد لويس Abbasids فى دائرة ألمعارف ألاسلامية «طبعة جديدة» ، والمقالة ألتى أشرت أليها انفا .

Government, society and economic Life under the Abbard, pp; 646-48,

(٥٠) مسكويه : ج٢ ص ٩٦-١٠٠

(٥١) مما لاشك فيه أن ماكتبه ألاستاذ بوين يعتبر لحد الان مصدرا مهما ، أنظر :

Rowen, H, The Life and times of Ali b; Isa; the good Vizier, (Cambridge 1928) p, 105;113;200

وكذلك مقالة البروفسور لويس ألسابقة

Government; society; p; 464,

ومقالة ألاستاذة لامبتون

"Reflection on IQta," in Arabic and Islamic Studies (1965) p, 365,

ومقالة الاستاذ كاهين Djaysh فى دائرة المعارف الاسلامية «طبعة جديدة» .

(٥٢) كالامارة الطولونية ، والاخشيدية فى مصر ، والاغالبه فى شمال افريقيا ثم امارة الطاهرين والسامانين والغزنويين .. الخ فى المشرق ..

(٥٣) كالخلافة الفاطميه وعاصمتها القاهرة ، وخلافة الادارسه فى مراكش ، والخلافة الاموية فى الاندلس ، وقرامطه البحرين ..

(٥٤) ثابت بن سنان ورقة ٣٨ ، مسكوية ج١ ص ١٣٩

(٥٥) ألكامل فى ألتاريخ ج٨ ص ١٠٢ .

(٥٦) للكاتب مقالة معدة للطبع تتعلق بحالة ألطرق التجارية البرية والبحرية والنهريه المارة بالبصرة والتى تربطها وبقيه ألمراكز خلال العصر الاسلامى الوسيط .

(٥٧) أنظر مسكويه : تجارب ج١ ص ٣٣٥

(٥٨) الديوان كلمة فارسية معربه ، وتعنى السجل الذى تكتب فيه اسماء المحاربين وأهل العطاء «لسان العرب مادة دون» وقد تكرر أستعماله عند الجغرافيين المسلمين كابن حوقل والمقدسى من باب المجاز للدلالة على المكان او الدائرة التى تفرض فيها الضرائب والمكوس على المارين من التجار . انظر مادة Diwan فى دائرة المعارف الاسلامية (طبعة جديدة) .

(٥٩) ابن حوقل : صورة الارض «تحقيق كريموز ، لندن ١٩٣٨ ـ٣٩» . مجلد ١ ص ٢٥ ، ٢٧ . وكتابه الاخر المسالك والممالك «تحقيق دي غويه ، ليدن ١٨٧٢» ص ٢١ .

(٦٠) ابن الجوزى : المنتظم ج٧ ص٥١ ، سبط ابن الجوزى «مخطوط المتحف البريطانى ، ورقة (ب)

(٦١) المسالك والممالك ص ٢١ · أيضا

Miles, The countries and tribes of the Persan gulf, (2 vols, London 1919) Vol, Ip; 127

(٦٢) انظر أبن حوقل : المسالك ص ٣٨ ، المقدسى ـ احسن التقاسم في معرفة الاقاليم (ليدن ١٨٧٧) ص ٩٢ · ياقوت : البلدان ج٣ ص ٧١٧ · أبو الفداء : تقويم ص ٩٩ · ومقالة Oman بدائرة المعارف الاسلامية (ط · اولى) ايضا

Hasan, H: A Hitory of Persian Navigation (London 1928) p, 108,

Wilsn : The Persian Gulf (2nd ed; London 1954) p, 86-90;

(٦٣) انظر عن سيراف الاصطخرى : مسالك الممالك «تحقيق دي غويه ـ ليدن ١٩٢٧» ص ٣٤ ، ١٥٤ · رحلة السيرافى (١٩٦١ ص ١١ ، ٣٤ · أبن البلخى : فارسنامه (تحقيق Le Shange) ص ١٣٦ ـ ١٣٧ · لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية (ترجمه بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ١٩٥٤) ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ · جورج فضل حورانى : العرب والملاحة في المحيط الهندى في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى (ترجمة د· يعقوب بكر) ص ٢٠٧ · وهناك ايضا مقالة جيدة باللغة الفرنسيه كتبها جين أوبين Aubin

"La ruine de Siraf etles routes du gulf Persiquue aux xlet xll siecle" in Cahiess des civilisation Medieval (1959) pp, 295—301,

(٦٤) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج٦ ص ١٣١ · وانظر سبط أبن الجوزى (مخطوط المتحف البريطانى) ورقة ٣٣ «أ»

(٦٥) مسالـــك ص ٣٤

(٦٦) نقلا عن ادم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى (جزءان) ، ترجمة محمد عبدالهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٩٥٧ ، ج٢ ص ٤٣٢

(٦٧) هناك عدد من البحوث القيمة عن موضوع الدعوة الاسماعيلية في هذه الاماكن أخص بالذكر منها : —

1- Abbas al-Hamdani: **The beginnings** of the Isma'ili da'wa in North India" , Cairo, 19 56;p;1

2- Stern: "Isma'ili propaganda and Fatimid rule Sind" in Islamic Culture 1949, p; 298-307

3- Lewis B, "The Fatmid and the route **to India**" in Revue de la Faculty des sciences economiques of Univ, of Istanbul (1949-50) pp, 50-54;